والنص لا يقود القارىء إلى أي واحدة منهما بل يتركه لا هو ميال إلى هذا الجانب ولا إلى الجانب الآخر (طبعاً إذا لم تتحكم في قراءته أغراض إديولوجية) لأن تكافؤ الصراع بينهما يُحْتَفَظُ به إلى النهاية، وهو ما يؤكد وجود تناقض بين المكونين الإديولوجيين وتتولد تلقائياً من هذا التكافؤ رؤية خاصة جديدة هي رؤية الكاتب[38].

إننا يمكن أن نلاحظ هذا التمييز بين الإديولوجيات في النص والنص كإديولوجيا عند لينين نفسه، لكن دون أن يعلن عن ذلك بشكل مباشر مما جعلنا نؤكد غير مرة أن ماشيري كان يقرأ أفكار لينين بصورة لم تكن عليها بالفعل عند لينين.

تحدث هذا عن التناقضات التي كان يتميز بها تولستوي فقال:

«صارخة حقاً هي التناقضات في مؤلفات تولستوي ونظراته وتعاليم مدرسته، نرى من جهة فناناً عظيماً لم يهبنا لوحات لا مثيل لها للحياة الروسية وحسب، بل مؤلفات أدبية من الدرجة الأولى على المستوى العالمي أيضاً، ونرى من جهة أخرى إقطاعياً مأخوذاً بالمسيح. نرى من جهة احتجاجاً رائعاً في صراحته وقوته وإخلاصه على الدجل والزيف الاجتماعيين، ونرى من جهة أخرى «تولستوياً» أي إنساناً ضعيفاً هستيرياً مضني يدعى بالمثقف الروسي (. . .) نرى من جهة نقداً لا يرحم للاستغلال الرأسمالي وفضحاً لأعمال العنف التي تمارسها الحكومة ولمهازل القضاء والادارة الحكومية وكشفاً عن عمق التناقضات بين ازدياد الثورة وانجازات الحضارة، وبين آلام العمال وازدياد توحشهم. ونرى من جهة أخرى دعوة مجنونة لعدم مقاومة الشر بالعنف»[39].

ويقدم لنا ماشيري أفكاراً جديدة فيما يخص النظرية الإديولوجية للرواية أهمها التميز بين مصادر إنتاج النص الروائي. ففيما يخص الجانب الجمالي يُفْهَمُ من آرائه أن الإديولوجيات باعتبارها عناصر واقعية تدخل إلى النص الروائي كمكونات للمحتوى أي كعناصر مؤسسة للبنية الفنية، وفيما يخص وضعية الكاتب الواقعية فهي التي تكون المسْؤُولة عن تحديد الذات المتكلمة في النص (من يتكلم؟)، لكن الذات لا تعبر عن نفسها في الكتابة إلا من خلال نقيض هذه الوضعية نفسها لأن المسألة هنا مُتَعَلِّقَةٌ بالتعبير بوصفه حاجة إلى تصحيح هذه الوضعية الذاتية. فبحكم أن إديولوجيا الكاتب هي غير وضعيته بالضرورة (لأن فيها بعض الطموحات التي لم تتحقق في الواقع) فإنها هي التي تحدد شروط المتكلم في النص[40].

---

(38) Ibid., P. 148

(39) لينين: في الأدب والفن، ص 206.

(40) نحلل هنا الأبعاد أكثر مما نعرض لآراء ماشيري. انظر كتابه المشار إليه سلفاً، ص 149، كما أننا نربط أفكاره مع ما سبقها وما يلحقها.